المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 17-05-2006 العـــدد : 14508
الصفحـات : 6 المسلسل : 35

دور تاريخي لملك سبق التاريخ

د.طلال صالح بنان

بالرغم من عدم توفر مراكز علمية متخصصة لاستطلاع الرأي في المملكة، إلا أنه ليس بصعب على المراقب أن يلاحظ مدى الحب وعمقه الذي يتمتع به الملك عبدالله بن عبد العزيز بين شعبه. حب يجتهد أبناء الشعب في إظهاره بالكلمة والرمز، وفي كثير من الأحيان بالتصريح الذي لا لبس فيه. منتديات شبكة المعلومات العالمي (الانترنت) مليئة بعبارات الإطراء العفوية، التي تعبر عن حب عميق للمليك واستبشار كبير بعهده.. في المجالس الخاصة لا يخلو الحديث عن الملك عبدالله بإعجاب ملفت لمدى استجابته لنبض الشارع وهموم المواطن.. وبطموحات عهده التي تتجاوز كل ما سبق وخبرته المملكة من برامج ومشاريع للتنمية. كما يبدو، حفظه الله، عفويا في التعبير عن مدى اهتمامه وانشغاله بهموم الناس وطموحاتهم وتطلعاتهم، يأتي التعبير عن حب الشعب له بعفوية غير مصطنعة ولا متملقة، بل صادقة ومخلصة وأصيلة، في كشف ما تكنه ضمائر الشعب من حب عميق له، حفظه الله.. وتفاؤل مبشر، بعهده الميمون. حتى بين فئة الشباب، التي تعاني من صعوبة في استعادة المجتمع لما استثمره في تعليمها وتأهيلها للإسهام في برامج التنمية، يتمتع الملك عبدالله بشعبية واسعة، يمكن ملاحظتها في الملصقات التي يظهرها الشباب في سياراتهم.. بل وحتى يزينون بها غرفهم، ومواقعهم في (الانترنت). لو أن هناك تاريخا لاستطلاعات الرأي في المملكة، لظهرت الشعبية الكاسحة التي يتمتع بها الملك عبدالله بن عبد العزيز.. والاستبشار الكبير بعهده، بصورة غير مسبوقة.

هذا الحب الغامر الذي يتمتع به الملك عبدالله بين سائر فئات شعب المملكة العربية السعودية لم يأت من فراغ أبدا.. ولا يعكس نشوة متفائلة، تفرضها ظروف التغيير في بداية عهده، يحفظه الله. أبدا... الملك عبدالله يتمتع بـ«كارزمة» جذابة تعكس تواصلا شديد «الحرارة» و«الحميمية» بينه وبين الناس، بصورة قل توفرها وملاحظتها، على مستوى العلاقة بين القيادة وشعبها، في أي مجتمع من المجتمعات. هذه «الكارزمة» الجذابة، التي يتمتع بها، حفظه الله، تتجاوز ما قد تفسره علاقة «الكيمياء»، بأبعادها الفيزيائية والنفسية، للعلاقات الحارة والحميمية بين البشر، إلى الكشف عن بعد سياسي مرتبط بالدور الاستراتيجي، الذي حددته مسيرة التاريخ، للملك عبدالله.. ومكانة عهده في مسيرة التطور التاريخي للمملكة العربية السعودية... بل ولمنطقة الخليج العربي، والأمة العربية. ليست مجرد مصادفة تاريخية أن يبدأ عهد الملك عبدالله، يحفظه الله، بوفرة اقتصادية في موارد المملكة، لم تشهد لها المملكة مثيلا، منذ بداية عهدها. وليست مجرد مصادفة تاريخية أن تأتي هذه الوفرة الاقتصادية، وشعب المملكة لتوه خرج من سنوات عجاف مربها الاقتصاد السعودي، كما العالمي استمر لربع قرن. وليست مصادفة تاريخية أن يبدأ عهد الملك عبدالله بن عبد العزيز، وقد اكتملت البنى التحتية للموارد البشرية للمملكة، لتستقبل طفرة تنموية قادمة تمولها هذه الوفرة الاقتصادية الجديدة، لينتقل المجتمع والدولة إلى آفاق جديدة من النمو والتقدم، لم تعهدها شعوب المنطقة، طوال تاريخها الحديث. الزعامات التاريخية الفذة المكتوب لها أن تحدث نقلات تاريخية تعكس مسيرة التاريخ النبيلة والخيرة، تتهيأ لها كل إمكانات القيام بدورها التاريخي، الذي حُدد لها، لتترك بصماتها على مسيرة التاريخ.. ويخلدها التاريخ بكتابة اسمها في صحائف من ذهب. الملك عبدالله بن عبد العزيز، أحد زعامات التاريخ الفذة، هذه.. الحب العميق المتبادل والعميق بين الملك عبدالله وشعبه، يعكس أهم مقومات مكانة الملك عبدالله التاريخية، في مسيرة التاريخ. إنجازات عهد الملك عبدالله التاريخية، التي ستُظهر تميز عهده يحفظه الله في مسيرة تاريخ المملكة، لا تعتمد على مدى توفر الإمكانات المادية اللازمة للإنفاق على مشاريع التنمية الطموحة التي يفكر في إنجازها، يحفظه الله، بقدر ما تعتمد على الإمكانات المبدعة والخلاقة للشعب السعودي، الذي يفجرها هذا التواصل الحار والحميم بين الملك عبدالله وشعبه. الملك عبدالله في تواصله الدؤوب مع هموم المواطن السعودي العادي، يعكس فلسفة تنموية تمثل أهم دعائم النقلة النوعية في المجتمع والدولة، التي ستميز عهده، يحفظه الله، كعلامة تاريخية في مسيرة تطور المملكة. الملك عبدالله في اجتماعه مع اتحاد الصحافة الخليجية، يوم أمس الأول في الرياض، أبدى نفوراً من إطلاق صفة الفقر على أي مواطن سعودي. المليك، هنا، لا يقصد الفقر بمعناه المادي الكمي، ولكنه يرمي إلى الفقر، في معناه الشامل الحقيقي، المعنوي والنفسي والإنساني. الفقر لا يكون فقراً حقيقياً، إلا إذا تم استبعاد إمكانات الفطرة الإنسانية الخلاقة والمبدعة. أما إذا كانت برامج ومشاريع التنمية في أي مجتمع انطلقت من قرضية الاستفادة من إمكانات الموارد البشرية للمجتمع الغنية والمبدعة والخلاقة، بفطرتها السوية، فإن تحقيق عملية إشباع حاجات الفرد الأساسية، باستخدام موارد المجتمع (المادية) المتاحة، تكون ممكنة، لتتجاوز معدلات المعيشة العادية، إلى آفاق أكثر إنتاجية وغنىً. الفقر ضد الطبيعة البشرية السوية التي فطر الله الإنسان عليها، لذا لا يمكن استعمال الكلمة على إطلاقها، لتعني فقط الحالة المادية التي يعيشها الفرد بعيداً عن حساب إمكاناته الحقيقية المبدعة والخلاقة. من هنا لم يستحسن حفظه الله استخدام هذا المفهوم الضيق المادي للفقر، لأن الإنسان في حقيقته لم يخلق فقيراً. الملك عبدالله في حديثه تكلم عن الضعفاء من الناس، وهذا وصف إنساني حقيقي لحالة بعض الناس، التي تحول ظروف المجتمع من الاستفادة من ملكاتهم الغنية والخلاقة والمبدعة، نتيجة لآلية الحراك الاجتماعي الذي يحدث ما نراه من تفاوت اقتصادي واجتماعي بين البشر. هنا تتجلى فلسفة الملك عبدالله السياسية والاقتصادية في الإحساس بمسؤولية الدولة تجاه وظيفتها الاجتماعية لتحقيق قدر أكبر من التوازن في حيازة الثروة المادية، التي يمتلكها المجتمع ما قاله حفظه الله للصحافة والصحفيين عن عزمه، يحفظه الله، على إنشاء صندوق ادخاري لذوي الدخل المحدود تُستثمر عائداته، لفترة محدودة، في سوق الأسهم.. أو أية أوعية استثمارية أخرى قد تنشأ مستقبلاً. يقي صغار المستثمرين من تقلبات أوضاع السوق المالية، يحمل إمكانات الربح الكبيرة، ويضمن في نفس الوقت رؤوس الأموال، إنما يعكس هذه الخاصية التي يتمتع بها، حفظه الله، في الإحساس بهموم شعبه.. وأيضاً، في تلمس طموحاتهم وتطلعاتهم، في تحسين

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 17-05-2006 العـــدد : 14508
الصفحـات : 6 المسلسل : 35

أوضاعهم المادية، بمساعدة الدولة. لقد كان حفظه الله صادقاً، بقدر ما كان عفوياً، عندما قال: هذه البورصة أتعبتنا. لقد أنشغل حفظه الله بهموم ضحايا سوق الأسهم من المواطنين، فأذكت في ضميره المفعم بالشعور بمسؤولية حماية الضعفاء من الناس، من غائلة الفقر، وجاء بفكرة هذا الصندوق الاستثماري، الذي تضمنه الدولة، في حالة الخسارة.. وتتوقع عائداً استثمارياً مجزياً لمدخرات المواطنين من ذوي الدخل المحدود لمدخراتهم، بعيداً عن أية مخاطرة، تجربة اقتصادية رائدة وفذة، قد تقلب معتقدات اقتصادية استسلم الناس لنتيجة تفاعل حركتها، وكأنها من مسلمات قوانين الطبيعة التي لا تتجاوب مع تدخل الإنسان في حركتها. مثل هذه الأفكار الاقتصادية المبتكرة، التي تعتمد على حس قيادي قطري نافذ لا تأتي إلا من قيادة تاريخية، استلهمت مسيرة التاريخ النبيلة والخيرة. القيادات التاريخية الفذة، عادة لا تسير مواكبة لحركة مسيرة التاريخ، ولكنها تسبقها بمراحل تحدث نقلة نوعية في مسيرة التاريخ. الملك عبدالله بن عبد العزيز أحد هذه الرموز التاريخية الفذة نادرة الظهور في تاريخ البشر، التي هيأت لها مسيرة التاريخ كل فرص النجاح، لتحدث نقلة نوعية استراتيجية في مسيرة التاريخ. الملك عبدالله بن عبد العزيز استحق حب الشعب له، لأنه يعيش هموم الشعب وطموحاته وتطلعاته في ضميره... وهذه أهم صفات وعلامات الزعامات التاريخية الفذة، التي يظل التاريخ يذكرها في ضمير الإنسانية.. ويخلد اسمها بحروف من ذهب، لا ينساها التاريخ.. وتبقى في ذاكرة الإنسانية وضميرها، ما بقي البشر على وجه البسيطة.